

دمية القصر

كتب إلى ابنه الشيخ الرئيس أبي نصر المساح بهذه الأبيات :
سلام وريحان وروح وراحة ... على الولد المرضي عندي أبي نصر .
تذكرني الأيام طلعة وجهه ... وتمنعني عما أريد سوى الذكر .
فيا ليتني ألقى صباحاً طلوعه ... ونمسي ونغدو سالمين من الهجر .
ويا ليتني أحيأ إلى وقت عوده ... ويا ليته يحيا إلى آخر الدهر .
فأجابه ابنه الشيخ الرئيس أبو نصر المساح والد العميد كمال الدولة أبي الرضا بقوله :

لعمري أبي إني كتبت وأدمعي ... تسيل فتمحو ما أنمق من صدري .
وما كنت أدري قبل ذلك ما النوى ... فأدرتني الأيام ما كنت لا أدري .
ولكنني أرجو بيمين دعائه ... من أن يصنعاً يستقيم به أمري .
الشيخ الرئيس أبو نصر المساح القائي .

قلت : والرئيس أبو النصر هذا كان من أفراد الدهر وآحاد العصر . ونثره على النثره
ونظمه على النجم . وأغارني الأديب يعقوب بن أحمد ديوان أشعاره وقيد ناظري بسلاسل ريح
الفضل على أنهاره وأطعمني تفتح أنواره في اجتناء الدواني من قطوف ثماره ورتعت من جناته
بين روضة وغدير وطلت من طيباته في ظل عيش غرير والتقطت منه لديواني هذا ما يبقى على
الأيام أثره ويحلوا بأفواه الرواة ثمره . فمنها قوله :

سقى لي أياماً لنا ولياليا ... أعانق فيها جيد خالي خاليا .
لقد كن في صدر الزمان بحسناها ... صداراً وفي سلك الليالي لآليا .
وكن لوجه الدهر خالا فأقبلت ... حوادث ردتته عن الخال خاليا .
تصرمت الأسباب إلا تذكراً ... لبهجة أيام مزين خواليا .
وهذا صنيع الدهر بين أولي النهى ... إذا لم يكلفهم قلى فتقاليا .
علي زمان ليس لي ليتني أرى ... طلوع زمان لا علي ولا ليا .
وله من أحسن ما قيل في معناه :

تركتك لا شكر لدي ولا شكوى ... ولاعتب فيما قد فعلت ولا عتبي .
إذا لم يكن عندي لمثلك منة ... فإن فيه عندي المنة العظمى .
وله من خمرية :

من ذهب ذا المدام أم عنب ... من عنب فهو سيد الذهب .

الكرم أصل وفرعه كرم ... أما ترى كيف حكمة العرب .
عليك بالراح فهي رائحة ... لكل روح براحة عجب .
قلت : وقد زاد الأجل شرف السادة في خمرة له على هذا التجنيس فقال : .
أرى الراحة في الراح ... إذا راحت على الراح .
ولابن الرومي تصرف عجيب في المعاني المشتقة من الراح حيث يقول : .
وإني ما أدري لأية علة ... يدعونها في الراح باسم الراح .
أريحها أم روحها تحت الحشا ... أم لارتياح نديمها المرتاح .
رجع شعر الرئيس أبي نصر فقال يصف الخمر : .
وقهوة تضحك في الإناء ... وتخطف الأبيصار باللائء .
جاءت بها ساحبة الرداء ... كالشمس في طرف من الهواء .
أعجب بطبي من بني حواء ... يحمل ناراً من بنات الماء .
وله في الحكمة والموعظة : .
لا تحكمن على الرجال تعسفاً ... فتشوب خالص فضة برصاص .
صدف اللآلي كامن ما عنده ... حتى تشققه يد الغواص .
وله : .
راع الكلام فما كلمت مألكة ... تملى على ملك يأتي به الملكا .
واردد هواك إذا لجت جوامحه ... بالنفس إن من اختار الهوى هلكا .
وقوله : .
إن الفتى كل الفتى من لم يذع ... أسرار يوم الود يوم خلاف .
فعليك بالأفضال ثم إن التوت ... أسبابه فعليك بالأنصاف .
وله من قصيدة : .
خطوب الليالي للرجال قوالب ... قوالب إلا انهن قوالب .
لها كتب في كل قلب فان وعى ... لهن وإلا شيعتها كتائب .
زمان تقول : المرء يسمع ذكره ... عجائب حتى ليس فيها عجائب .
ويستدرج الإنسان في شخص لاعب ... به وهو بالسم الممثل لاعب .
ومن عشق الدنيا قلته ولم يزل ... له خاطب في منبر الذل خاطب